بين الدنيا و الجنة

تكريماً لوالد الشهيد الجريح، محمدتقی طاهرزاده

المؤلف: رحيم مخدومی

التعريب: سميه مشكوری

الإهداء إلى

والد الشهيد محمدتقی طاهرزاده وممرضه هوشنگ طاهرزاده

فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً (١١)

وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ ...(١٨)

وَ كَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ... (٢١)

طوبى لمحمدتقى

زار محمدتقى قائد الثورة، الإمام الخامنئى، و قد مّر على إغمائه أربعة عشر عاماً فوقف عند رأسه ومسح جبينه وردّد هذه الكلمات البديعة واللطفية:

محمدتقى، محمدتقى!

هل تسمعنى يا ولدى؟ هل تسمعنى يا عزيزى؟

يا محمدتقى هل تسمعنى؟ هل تسمعنى؟

أنت مشرف على الجنة وأبوابها،

أنت بين الدنيا والجنة!

طوبى لک،

طوبى لک،

طوبى لک،

هنيئاً لک،

لقاء ٢٠٠٢ م/ ١٣٨٠ ش

بوابة إلى حياة الشهيد

ولد الشهيد الجريح، محمدتقى طاهرزاده، فى سبتمبر عام ١٩٧٠م/١٣٤٩ش فى مدينة أصفهان. بدأ العمل وهو ابن السابعة من عمره وواصل دراسته حتى المرحلة الثالثة المتوسطة وعندما كان ابن السابعة عشر من عمره (مارس ١٩٨٨/ ١٣٦٧ ش) ذهب إلى جبهات الحرب الإيرانية العراقية.

وأصيب بتموجات صوتية فى يونيو عام ١٩٨٩م/ ١٣٦٨ش فى مدينة شلمجة وبعد مضى شهر أغمى عليه.

وطال هذا الإغماء ثمانية عشر عاماً.

وماكان يثير الإعجاب هو تمريض أبيه الحنون الذى يروى لنا ذكرياته عن فلذة كبده والتى سنذكر قسماً منها فى هذا الكتاب الذى بين أيديكم.

و أخيراً انتهى هذا الامتحان الصعب لهذين العزيزين، الأب والابن، عندما التحق محمدتقى فى مايو عام ٢٠٠٥م/ ١٣٨٤ ش، ركب شهداء الدفاع المقدس.

محمدٌ المتقى

كانت أمّه علوية وجدّه وجدّته علويان أيضاً.

كنتُ جندياً حينما أخبرونى بولادة ولدى، فحملتنى قدمايَ فى أول فرصة إلى البيت.

نفذت محبته فى قلبى فى النظرة الأولى وكانت هذه المحبةَ تزداد يوماً بعد يوم.

حينما حان وقت التسمية، قالوا: إنّ جدّه وجدّته اختاروا له اسماً، سألت ماهو الاسم الـذى سَـمَّيتُم الطفل بِهِ؟

قالوا: محمدتقى، أى محمد المتقى.

قلت: هذ الاسم لَيستأهل به حقّاً.

وكانت هذه الأهلية تبدو يوماً بعد يوم.

عاملى الصغير

كان يعيش طفولته كسائر الأطفال، ولكنه كان يختلف عنهم تماماً. كان يعمل وهو ابن السابعة من عمره. كان يأتى معى إلى ورشة صناعة الأحذية فكنت أنا عاملاً وهو كان عاملى. وكان رغم صغر سنه ونحافة جسمه، يساعدنى فى إنجاز عملى والتقدم فيه.

حزمة ثقلية من المحبة

عندما كان فى الصف الأول الإبتدائى يقضى وقته من الصباح حتى الظهر فـى المدرسـة، ثـم يعـود مسرعاً إلى البيت ليأخذ الغداء ويأتى به إلى الورشة.

كنت فى كل يوم أنتظر الساعة الواحدة ليصل تقى الورشةَ وهو كان يصل فى الموعد المحدد وكـان يستقبلنى بابتسامة حيث كان يزيل عنّى التعب، ثم يسلّم علىّ وكنت أستعيد بِرؤيته نشاطى.

و كان ينحنى كتفه الذى يحمل عليه حزُمة الغداء ويرتفعه إلى أذنه لنقل الحزمة حتى يضـعها علـى الأرض.

كان يلهث ولكن كانت أنفاسه ممتزجه بابتسامة.

ما أطيبه من غداء أتناوله مع تقى!

أصبح رجلاً بسرعة

ما أكثر تواضعه وهدوئه أمامنا وما أكثر رجوليته أمام المجتمع.

كان من المستحيل أن أغضب عليه ويرفع رأسه. ما كان خائفاً منّى، بل كان فهيماً جداً.

كان يركب السيارة لوحده منذ السابعة من عمره، ويأتى إلى الورشة ويلازمنى فى العمل حتى الساعة التاسعة ليلاً.

كان يذهب فى أغلب الأوقات وحده إلى زيارة جدّه وجدّته وخالته والأقرباء وكان يرجع وحده أيضاً.

وكان قد أصبح محمدتقى رجلاً بسرعة.

رجل جدّى

كان جدّياً رغم صغر سنه بل كان أكثر جديّة من عمره.

كان يحترم مكان العمل ويبتعد عن مزاح العمال، فعند تمازحهم مع بعض؛ كان يترك الورشة.

مع هذه الجدّية ما كان يؤذى حتى نملة. وكان من المستحيل أن يعرض عضلاته على أحد.

لاأتذكر ولو مرة واحدة اشتكى منه أهالى الحى أو دعى مدير المدرسة والديه.

كان عطوفاً مع الجميع و محبوباً لديهم.

حفلاته الصغيرة

كان طفلاً ولكن كيف كان عقله و فهمه؟ كيف حياؤه وغيرته؟

كان يقدّس كيان الأسرة ويحترم والديه كثيراً.

كنت لا أستطيع أن أدفع راتبه الأسبوعى بسهولة بل بإلحاح وإصرار وهو كان يجاملنى كالكبار. وكانت مجاملاته جذابة ولطيفة.

ولايبقى شيء من الراتب عندما كان يعود إلى البيت. كان يشترى الحلويات والمثلجات للعائلة ويوزع قسماً من راتبه بين أخواته وإخوانه.

وكان يجمع العائلة ويقيم حفلة صغيرة. وكان بهذا العمل يسرّ عائلته ويحبّب نفسه أكثر فأكثر فى قلوبهم.

مستقبل زاهر

عندما أشرفت الثورة على الانتصار، كان عملنا الاستماع إلى المحاضرات الثورية والمشاركة فى الاحتجاجات فى الشوارع والقيام ضد الطاغوت. اليوم فى مسجد الحكيم وغداً فى مسجد السيّد، فى شارع السيّد.

و الورشة كانت لغلامحسين ايلشيان. كان رجلاً بكل معنى الكلمة ولم يكن يهتم بأمور الدنيا. كان يعطل الورشة وكنّا نذهب إلى المظاهرات وكان يدفع لنا الراتب دون أية نقيصة رغم عدم حضورنا فى الورشة.

أغلقنا الورشة لشهر أو شهرين. كان تقى ثائر كباقى الثوّار رغم أنه لم يبلغ من العمر إلا ثمانى سنوات. بالأمس كان يلازمنى فى العمل واليوم امتزجت صرخته بصرختى رافعاً قبضته.

كان ايلشيان يعرفه حق المعرفة.

فى المرة الأولى التى التقى بتقى قال: يا سيد طاهرزاده! هذا الطفل لديه مستقبل زاهر اعتنِ به أكثر.

الورشة بعد الرحيل

بعد انتصار الثورة كأن الدنيا قد أهديت إلى إيلشيان. وَدَّعَنا الورشة وذهب ليدافع عن الثورة وكانت قوة الحرس الثورى القلب النابض للثوار وأصبح إيلشيان من الحرّاس الثورى.

حينما اندلعت الحرب كان يرسل قوافل كبيرة من المساعدات الشعبية إلى جبهات الحرب. استشـهد ايلشيان إثر حادث وقع له أثناء إرسال القوات التعبئة إلى جبهات الحرب.

بعد رحيله عمّ الحزن على الورشة. ما كانت أيدينا تساعدنا على العمل وما كنا نستطيع أنا والعامـل الصغير العمل فى الورشة.

كان تقى يوم تشييع جثمان ايلشيان يمشى متقدماً عن المشيّعين وكان يحمل صورته مع باقة وردٍ. إنه كان يحب تقى كثيراً، وكان تقى يكنّ له المحبة أيضاً.

كان يجب أن أساعده

بعد استشهاد ايلشيان استأجرتُ محلاً فى مكان آخر حتى لايمنعنى حُزن رحيله عن العمل.

ماكانت ميزانيتى تسمح لى استخدام عامل، فواصل تقى مساعدته.

كان يقضى وقته من الصباح حتى الظهر فى المدرسة وكان يبقى من الظهر حتى الغروب فى الورشة ويذهب عند الغروب إلى مسجد الإمام الحسن (عليه السلام) حيث مركز التعبئة ويبقى فيه فترة ثم يعود إلى البيت.

لولم تكن مساعدة تقى ما استطعت تسيير شؤون الحياة.

ماذا يتوقع الآباء من أبنائهم؟ يريدون مساعدتهم فى الشيخوخة ولكن تقى ساعد أبيه الشاب منذ صغر سِنه. كان علىَّ الآن أرافقه وأساعده.

المتطوع الغيور

كان تقى متعصباً جداً. حينما رأى أن الراتب لايكفى، ترك المدرسة فى المرحلة الثالثة المتوسطة وقضى كل وقته فى العمل.

ساعدنا كثيراً ولكن الحياة ليست فقط المصاريف بل توجد أشياء أهم بكثير. قصف المدينة وصل إلى أقصى حدّه ويُقتل الأطفال والنساء الأبرياء. تقى كان يتأثر ويحزن كثيراً عند رؤيته هذه المشاهد، ماكانت يداه تساعده على العمل. وازداد شوقاً للذهاب إلى جبهات الحرب.

كان ثلاثة من الأقرباء يرافقون تقى دائماً ويلعبون معه وكان يحب بعضهم البعض كثيراً. هم كانوا محمود وعلى تيموريه الأخوين، وحميد كاويانى. مضت أيام حلوة بينهم ولكن ذهبوا إلى جبهات الحرب واستشهدوا واحداً تلو الآخر. استشهاد رفاق تقى، زاده شوقاً ولهفةً للذهاب إلى جبهات .

كانت ذريعته للذهاب إلى الجبهة هى أداء الخدمة العسكرية وذلک قبل أن يبلغ عمره سن خدمة العلم، فتطوّع للخدمة فى حرس الثورة وكان يعلم بأن حرس الثورة هم حاملى رايات جبهات القتال.

الموعد

فى أحد أيام الشتاء سمعت أنه أصيب بوعكة صحية فما استطعت أن أصبر، فاشتريت قليلاً من الفاكهة و ركبت دراجتى النارية وانطلقت مسرعاً إلى المعسكر رغم برودة الطقس.

يبعد معسكر الشهيد منتظرى التعليمى عن أصفهان حوالى ستين أو سبعين كيلومتراً.

رغم كل الصعوبات وصلت. حينما رأيت تقى اطمأنّ قلبى فكان على وشك التحسّن ولكن أنا أصبت بزكام شديد.

وعندما رجعت البيت، ألزمت الفراش من شدة المرض لمدة ايامٍ.

الكابتن

إنّ الدورة التعليمية التى طالت شهراً أرهقتنا كثيراً. كنا نبحث أثناء الدورة عن فرصة للاستراحة ولكن كان تقى يأخذ الكرة البلاستيكية ويلعب كرة القدم. كان يقول أصبح جسمى مستعداً للعب وكان يلعب أفضل منّا.

كنا ذاهبين مرّة فى إجازة فأخذنا تقى إلى البيت. لم ينشف عرقنا حتى سمعنا الباب تقرع. فتحنا الباب وإذا برفاق الحى قالوا سمعنا مجيء الكابتن انقضى شهر ولم نلعب كرة القدم كما كنّا نتمنى. فجميع الرفاق ينتظرونه فأخذَنا تقى إلى الملعب فى ذلك اليوم.

لعبنا كرة القدم كما كنّا نتمنى.

هاجس الصلاة

كان يستعد دائماً للصلاة. يترك قبل الصلاة بربع ساعة كل شيء لِيُهَيِّءَ نَفسُه للصلاة وكان يقول لنا: «قوموا قوموا توَضؤوا سيؤذّن المؤذّن الآن». كان يشتاق كثيراً إلى لعب كرة القدم فحينما ينشغل باللعب ينسى أكثر الأشياء ولكن كان من المستحيل أن ينسى صلاته كأنما هناك منادٍ يناديه في داخله. كان في أشد لحظات اللعب يضطرب للصلاة ويتّجه ليتوضأ بوجه محمرّ يقطر عرقاً.

متی نصل؟

کان معسکر بانزده خرداد أصفهان یبعد عن المطار عشرة دقائق. سألنی فی الطریق أکثر من عشر مرّات متی نصل؟

عندما رکبنا الطائرة، کان یسأل أکثر الرکاب إلی أی منطقة سنذهب؟ و هو لایزال کان یسأل متی نصل؟

قدسية شلمجة[1]

كان تقیّ متقیاً قبل حضوره فی جبهات الحرب ولكن بعد ذهابه هناک، أصبح أكثر متقيّاً. كان يصلى بخشوع كامل، تغيّر سلوكه وكانت صلاته تضيئ قلبه أكثر من قبل.

كان لايتحدث كثيراً عن الجبهة فقط كان يقول: «كنّا فی شوشتر و هذه المرّة سنذهب إلى شلمجة».

عندما كان يتحدث عن شلمجة كان ينقلب وكان تصبح حالته روحانية. كأنّه يريد أن يذكر الله.

[1]– سهل شلمجة من المناطق الحربية التی جرى فيها كثير من عمليات حربية، وسقط فيها عدد كبير من الشهداء وتقدس تراب هذه المنطقة بدمائهم

السفر الأخير

اجتمعنا بمناسبة زواج ابن عمه. عندما كان جالساً لاحظنا أن رجله تطفر اعتباطياً فنظرنا إليه فضحک وأراد أن يصرف انتباهنا ولكن طفرة كانت تستمر.

لم أستسلم حتى أسمع السبب منه فقال بكراهية: لاشيء أردنا أن ننام قليلاً فهطلت علينا القذائف والقنابل.

ولم يقل أكثر من هذا. حينما رجع إلى الجبهة قالت زوجة عمه: لماذا كان تقى هكذا؟ ماذا حدث له؟

قالت له: بعد زواج ابن عمک يأتى دورک أنت يا تقى! فأجابنى: لا تقلقى يا عمتّى فهذا هو سفرى الأخير.

يومان آخران

كان الهجوم المضاد عنيفاً. كانت القنابل تحرث أرض شلمجه شبراً شبراً.

وكان تقى يحمل القذائف التى وزنها عشرين كيلو غراماً واحدة تلو الأخرى بين الغبار والنيران والتراب ويضعها فى المدفعية ليمنع تقدّم العدو. فجأة سقطت قنبلة ثقلية بين النيران والغبار على بُعد أمتار منه. رفعته موجة الانفجار كعود قشٍّ إلى الأعلى بطرفة عين وألقته على الأرض. فأصيبت قدماه ومعصمه وحاجبه.

قام رجل الإسعاف بتضميد جروحه حتى ينقله إلى خلف الجبهة، بينما كان تقى يفكر بإطفاء نيران العدوّ.

ما كانت قدماه تساعد على المشى. لكنه أوصل نفسَهُ إلى المدفعية وبقى فى جبهات القتال يومين آخرين.

المعاناة الممزوجة بالحياء

أطل علينا فى موقعنا وبدا طبيعياً وكان صبيح الوجه كالعادة وقال: أبعثونى لأذهب إلـى المستشـفى لأنه قبل يومين هَزّنى انفجار شديد وألقانى على الأرض.

فبعد أن جلس، قدّمتُ كأساً من الشاى إليه فَيرفعه، بهدوء ولكن لاحظت يده سرعان ما تعبت وكان يوضع الكأس على الأرض.

ولاحظته يدخل دورة المياه باستمرار ويعود مسرعاً وهو يرمينى بنظرات ملؤها الحياء ولم ينبس ببنت شفة، فسألته قائلاً: ما الذى حصل يا طاهرزاده؟ هل تريد شيئاً؟ قال: ما مشكلة.

ولكن كنت أعرف أن هناك شىء ما حصل وعندما أصررت عليه: فأجابنى بحياء وخجل: منذ وقت طويل أنى بحاجة للذهاب إلى دورة المياه ولكن يداى أصبحت عاجزتين عن العمل ... فلم أستطع أن افتح أزرار سروالى وحزامه.

فسألته مستغرباً: تعنى إلى هذا الحدّ بلغت حالتك؟

قال: أجل.

نهضت واتجهت إليه لأساعده وقد انتابنى الحزن، فقد تحمل عناء كثيراً بسبب استحيائه.

الموجة الكيمياوية

كان مصاباً بالتموجات الصوتية فى جبهات القتال. وكان يظهر عليه المرض أكثر من السابق. ورغم ذلک، كلما كنتُ أسأله عن صحته كان يقول: جيّد الحمدالله.

فكان يحاول أن لايُظهر معاناته.

قال: مامشكلة، أنا بخير فقد يداى عاجزتان عن الحركة وستتحسن إن شاءالله. فى نفس الوقت قُصف المعكسر بالأسلحة الكيمياوية ولكن بقى قناع تقى فى الخط الأمامى للجبهة. حاولت كثيراً أن أعطيه قناعى ليضعه على وجهه ولكنه رفض. شعلت النار مسرعاً، حيث رأت القوات العراقية النار فبدأت بالقصف. فما كانت لى حيلة الّا أن أخمده.

ذهبت أبحث عن قناع فى الأرجاء من حولنا.

وحينما وضعت القناع على وجهه بدا وكأنه مصاب بالغازات الكيمياوية.

سقطت أيضا...

كانت الإذاعة تبثّ صافرات الإنذار لعدة أيام، فكنتُ أقلقُ جداً. عندما وصلت إلى محل عملى رأيت تلميذى مضطرباً فسألته ما الذى حدث؟ قال: السيد تقى اتصل عبر الهاتف.

طارت أفكارى كأن أحداً ما ألهمنى بأنه سيحدث شيئاً.

قال تلميذى: كانت صحته جيدة. هو تكلم معى. وقال اتصلت حتى لاتقلقوا.

أخذت العنوان و انطلقت إليه. حينما سمع ابن أخى الخبر فهو رافقنى أيضاً. كان قلقاً جداً وهو يعلم مدى الحب بينى وبين تقى.

كانت الساعة السادسة صباحاً عندما وصلت إلى مستشفى الشهيد بقايى بأهواز.

وعندما رأيت تقى مستلقياً على السرير، سقطت على الأرض.

جاؤوا بى بماء السكر و دلكوا أكتافى. وكانت هذه اوّل مرّة يحترق فؤادى لتقى بهذا الشكل.

كان نصف جسمه مشلولاً وعاجزاً عن الحركة لايستطيع أن ينزل من السرير رغم هذه الحالة يبتسم ويمزح. كان يقول: لماذا قطعت هذا الطريق البعيد وتركت عملك وجئت إلى هنا. فارجع إلى عملك.

اليوم أو غداً سينقلوننى إلى أصفهان: كان تقى يحرق فؤادى بكلامه هذا أكثر.

الهبة المحبوبة

كانت يده المشلولة مقبوضة فقد بدا شيء من أطراف قبضته. مرّت ساعات إلا أنه لم يفتح يده فعرفت أن ما يخفيه هو شيء ثمين أحبه وأهواه وهى هبته المحبوبة ولايريد أن يفقده.

وبعد أن دققت قليلاً عرفت أن ما يخفيه هو ألف تومانٍ فسألت: يا سيد تقى ماذا فى يدک؟

أجابنى بكل سرور : إن رئيس الجمهورية (آية الله الخامنئى) زارنا وبعد أن مسح يَدَهُ على رؤوسنا أهدى لكل جريح هديةً وهى ألف تومانٍ.

اليوم السادس و العشرين

جاؤوا بتقى إلى أصفهان كان يرى ويسمع ويأكل ويشرب ويتكلم ويمزح ويُضحک.

عندما كان يراجع أفكاره يُظهر كلامه بالدموع التى تسيل على وجهه وهى كلمة: ياليتنى كنت شهيداً.

ياليت كنا نعلم أن لدينا خمس وعشرون يوماً حتى نسمع صوت تقى ونرى نظراته وتناوله الطعام...

ياليت كنا نعلم سيحرمنا هذا البحر يوماً من مائه ونبقى عطاشى حتى ثمانية عشر عاماً...

مرت ستة وعشرون يوماً و كالعادة جئت إلى المستشفى وبيدى معلبة الفاكهة الباردة.

كان تقى كالأيام الماضية مستلقياً على السرير ومحدّقاً بعينيه سلّمت عليه ولكنه لم يجبنى كالعادة وهذه المرّة لم يدر وجه إلىّ ولم يبتسم.

فتحت المعلبة وقلت له: قم يابنى. هذه المعلبة باردة تروى غليلک.

لم يعتن تقى بى. فشعرت كَأنّ قلبى يحترق ويذوب له.

أروع لوحة

كانت أجمل لوحة محفورة فی ذهنی، وجهه المتبسم وعیونه الحنونة وأخلاقه الرصینة.

فی نوفمبر عام ۱۹۸۸م /۱۳۶۷ش فی بدایة الدورة التعلیمیة فی معسکر الشهید منتظری فی أصفهان. رأیته لأول مرّة فأحببته ثم رأیته آخر مرة فی أغسطس عام ۱۹۸۸ م فی مستشفی فارابی فی أصفهان...

کنت ذاهباً لأبحث عن ابن عمتی الذی کان قد جرح حدیثاً ففجأة واجهت وجهه المبتسم. کان هادئاً وهو أهدأ من الماضی وعیونه الحنونة ازدادت حناناً ونفوذاً.

لم استطع أن أصدّق، فقد نظر إلی مُحدقاً لکن الابتسامة کانت تزیّن وجهه هذه المرّة. وکان یبدو إنه أصبح أضعف وهو راقد علی الفراش.

أخذ یدی بیده المشلولة متسائلاً عن صحتی بابتسامة، فاحترق فؤادی لَهُ.

رجلٌ من أصحاب الكهف

جرّنى الطبيب إلى جانب وقال: خلقت موجة الأنفجار بثورات مائية خطيرة فى دماغه واحتمال انفجارها كثير جداً وإنه لايبقى أكثر من خمسين يوماً، فاستعدوا لسماع أى خبرٍ.

قبل أن تنقضى الأيام الخمسين قالوا لنا: تقى توفى. أخبروا أمه وأخته لتأتيان.

ذهبنا إلى المستشفى حتى نودّع تقى. أقبلوا إلينا مسرعين وقالوا: حدثت معجزة، الهزّة الكترونية أحيت قلبه.

نحن نكاد نموت من فقدانه وكنا قد سمعنا هذا الخبر مرات عديدة. لم نكن نعلم ما هى السنين التى تنتظرنا.

مضت عدة أيام وإذا بخبر مؤلمِ ثانٍ وموت وحياة أخرى.

مضى خمسون شهراً وعشر سنين أيضاً...

ثمانية عشر سنة ليست قليلة...

يبدو أن الله سبحانه وتعالى يشاء أن يُرىَ الناس الغافلين فى القرن الحادى والعشرين أنموذجاً من رجال أصحاب الكهف.

مستشفى بسرير واحد

كان راقداً على السرير حوالى عامين فى المستشفى. دون أية حركة. ويفتح الممرضون كل صباح جروحه بسكين الجراحة الخاصة ويضعوا الضماد فى الجروح ثم يربطوها وعند الغروب يخرجوا الضماد حتى يجف التعفن.

كنت أشعر وكأن الجروح والسكاكين تطعن قلبى ولا جسم تقى. حينما رأيت هذه الحالة قلت لَهم أريد أن أذهب بتقى إلى البيت وأخدمه بنفسى وأنا أضمّد جروحه.

كان تقى أقضى فى العمل منذ صغره والآن حان دورى لأرافقه...

أخذتُ تقى إلى البيت، عطّلت الورشة، وعلى مدار الساعة كنت إلى جانبه. أصبح البيت مستشفى له. مستشفى بسرير واحد.

يا لهما من خير وبركةٍ حلّتا فى بيتنا بسبب هذا الجريح.

لا أتذكر يوما أمّد يدى إلى أحد طول هذه المدة لطلب المساعدة، لم أخيب ولمأيأس أبداً.

عندما جاء السيد القائد، الإمام الخامنئى، حفظه الله تعالى، سألنا بكرامة واحترام هل تحتاجون شيئاً؟ هل عندكم مشكلة؟ هل راضين عن معاشكم؟

قلت له: الحمدلله و الشكر لاتوجد أية مشكلة عندنا.

لسان تقی الصامت

کان ضیوف تقی أکثر من ضیوفنا وکان ضیوفنا ضیوفه فی الحقیقة. کانوا یـأتون مـن أنحـاء ایـران باصات باصات إلی زیارته وکانوا یتحملوا صعوبات ومصاریف الطریق حتی یزورونه.

کان یقول بعضهم لم نعرف تقی أبداً ولکن هو جاء فی منامنا ودعانا لزیارته.

اقترحت بنات مؤمنات أکثر من مرّة أن یتزوجن مع تقی ویتحملن مسؤولیته علی أکتافهن.

لا أعلم ماذا رأینَ فی تقی؟

کان الضیوف یقفون عند رأسه ویتحدثون معه. ما کنت أعرف ماذا یقولون وما یسمعون مـن لسـانه الصامت. کانوا أکثر من مرّة یتصلون عبر الهاتف جاهشین بالبکاء و یقولـون قضـیت حاجاتنـا وأن تقی أجاب طلبنا فطلب من الله حاجتنا والله سبحانه وتعالی استجاب دعاءنا.

خمسة عشر عاماً فى حيرة من أمرى

لا أعلم ما هذا الابتلاء فى البيت الذى طال خسمة عشر عاماً؟ لاأعلم هو كان مريضنا أم نحن كنا مرضاه؟

لا أعلم ما هذا الابتلاء ولماذا حدث هذا وكيف انقضت هذه الفترة؟ فقط أعرف أنه انقضت فى حالة حيرة.

كنت أحمله لوحدى وأنقله من سرير إلى سرير آخر ولسانى يلهج ويدعو يا على.

لا أعلم كيف كان يصبح خفيف الوزن جداً كأنه يُرفع نفسه.

كل ساعتين أنقله من جنبٍ إلى جنب آخر.

كل يوم كنتُ أغسل جسمه بالصابون والمنشفة وكنتُ أنشفه.

كنت أعطر جسده وملابسه بماء الورد وأرطب شفتيه وفمه بعصير الفاكهة، كنت أضع تحته أثنى عشر شرشفاً ومن اليوم الأول الذى جئت به إلى البيت سحبت خرطوم الإدرار منه وقلت فى نفسى أنا لست ميتاً حتى يتعذبّ تقى!

فكنت أضع تحته وعاء أنظفه وأجففه وحتى سحبت منه خرطوم المعدة حتى ينام مرتاحاً من المساء حتى الصباح رغم أنّى كنت أواجه صعوبات عند استرجاعها ويستغرق ساعات فالعرق كان يسرى من وجهى ولكن لا أتذكر يوما ندمت على ما أفعله بل كان يزداد حبى إليه يوماً بعد يومٍ آخر.

لا أتذكر لحظة تعبت من هذا العمل.

قضى السنتين الأولى بعد إصابته فى المستشفى وحوالى شهرين الأخيرة كذلك. كلتا المرتين أصيب بجروح عميقة إثر النوم الممتد على السرير ولكن كان خسمة عشرعاماً فى البيت وكانت هذه الفترة غير مصابة بأى جرحٍ وكان هذا أمراً مدهشاً جداً.

تقى أعادنى الشباب

هل تعلمون ما الذى كان يزيل عنّى التعب والإرهاق؟

ماكان هو سبب حبى العميق لتقى؟

كنت أتخيل ولمرات عديدة بأنّ أحداً يوقظنى فى منتصف الليل. لم يستطع تقى أن يحرك رقبته آنذاك كان يرفع رأسه وكأنه يتحدث مع أحدٍ ما ووجهه مبتهج ومسرور. ما كان يخرج صوتٌ من حلقه بل فقط يحرّك شفتيه وبعد لحظات كان يضحك. لم استطع أن أصف تلك الصورة وكنت أفقد الوعى عند تلك اللحظات وكان يرتعش جسمى من الشوق وكان تسيل دموعى ثم أقف عند رأسه وكنت أقبلّه بكل حب وأستعيد طاقتى لخدمته خمسةعشر عاماً أخرى وأشعر بأنى شاب مستعد لخدمته أكثر فأكثر.

خدمة تقى كان من واجباتى

كنتُ قد أوقفت نفسى لتقى. فى هذه الفترة التى طالت ثماينة عشر عاماً لم أذهب إلى أى ترفيةٍ أوسفرٍ. كان تقى كل ما أمتلكه، نزهتى، زيارتى، ومستحباتى. أصبح تقى إحدى واجباتى التى كنت ملزماً به.

كلّما كنت أذهب إلى خارج البيت كنت أدعهُ عند أمه وإخوانه وعندما كنتُ أرجع إلى البيت، أشعربأن الساعتين مرّت علىّ من الفراق والشوق ساعات عديدة ولم يكن ذلک إلا من قلقى له. وعندما كنت أصل إلى البيت كنت أقبله من صميم قلبى حتى يزول ألم الفراق من فؤادى.

رائحة الحسين (عليه السلام)

أنا وأمه كنّا نتحدث معه وهو معنا. نحن بألسنتنا وهو بنظراته وكنا نفهم لغة بعضنا البعض وكنا نفهم حزنه وفرحه ومرضه وتحسّنه ووجعه وشكره...

كنت أقف بعض الأوقات عند رأسه وأقول له قل: يا على، قل: يا حسين، قل: يا زهراء... كان تقى يسعى ويضغط على حلقه ويبدو أنه يريد أن يصيح من أعماق حلقه يا على ويا حسين ويا زهراء... .

لكن، ما كان يخرج صوتا من حلقه، بل دموعه كانت تسيل وتفوح من زاوية عيونه الجميلة المبللة بالدموع، رائحة كربلاء والإمام الحسين (عليه السلام).

الأوجاع الصامتة

كنت أراه يتألم أحياناً ويزداد ألماً شيئاً فشيئاً حيث يشدّ أسنانه ويحمرّ وجهه ويقطر عرقاً.

ما كانت حيلة بيدى.

ما كان يتحدث ولايصرخ. كان يتألم صامتاً فقط.

لم أكن أعلم ما الذى يؤلمه؟ أسنانه أو بطنه أو رأسه؟

كنت أعطيه المهدّئ ثم أتوسّل بأميرالمؤمنين الإمام على(ع) وبعد فترة قصيرة كان يسكن الوجع فيهدأ وينام.

كان تقى يبكى أيضاً

أنا وأمه كنّا نحزن بعض الأوقات فكنّا نقف عند رأسه ونضع وجوهنا على جبينه ونبكى وتقى كـان يبكى معنا أيضاً.

يفتح القلوب

كنا نودّ كثيراً أن نذهب به إلى زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) ولكن بتوصية الأطباء كان علينا أن لانحرّكه. لأن نقله كان يحتاج إلى فريق من الأطباء.

كانت أمه تذهب بالنيابة عنه إلى الزيارة. ذهبت إلى كل مكان إلى كربلاء و مكة المكرمة والمدينة المنورة ومشهد. توسّلت بجميع الأئمة المعصومين(عليهم السلام). ماكانت تعلم بأن مشيئة الله، سبحانه تعالى تعلّقت بشيء آخر.

عندما كانت أمه فى مكة المكرمة رأت فى المنام تقى تحسّن وعندما عادت إلى ايران ورجعت إلى البيت متفائلة ومتوقعة كانت أن يفتح تقى لها الباب لكنه كان يفتح أبواب القلوب ولا أبواب البيوت. ماكانت تعلم زوجتى تفسير حلمها انكسرت ومرضَت مرّة أخرى وانزوت فى زاوية من زوايا البيت.

تعاطف قائد الثورة

كان السيد القائد يبعث ممثله إلى أصفهان منذ ثلاث سنوات ماضية لعيادة تقى.

كان تعاطف قائد الثورة الجريح يأمّلنا كثيراً. رغم هذا كنا دائماً ننتظر قدومه المبارک. كنا نعدّ اللحظات، حتى زارنا فى عام ٢٠٠١م/ ١٣٨٠ش فى أصفهان.

كان يعلم جميع أهل الزقاق سبب مجيء الإمام الخامنئى حفظه الله وهو زيارة تقى فكانوا يترصدون مجيئه من الصباح حتى المساء ليستقبلوا القائد.

انتهى الانتظار و جاء الإمام بكل بساطة و أهل الزقاق رحبوا به كثيراً ومن ثم دخل بيتنا فى البداية ذهب عند تقى ومسح على جبينه وهمس أذكاراً ففتح تقى عيونه ونظر إلى القائد، وما أحلى هذه العلاقة الودّية التى حدثت بينهم.

صمت لسانى عن الكلام من الفرح وكنتُ لا اعلم ماذا علىّ أن أقول كانت هذه المرّة الثانية التى كنت أحس بفرح شديد فى قلبى.

كانت المرّة الأولى عند مجيء الإمام الخمينى، قدّس سره، إلى ايران والمرة الثانية مجيء الإمام الخامنئى حفظه الله إلى بيتنا.

على عتبة الجنة

خاطب الإمام الخامنئى، دام ظله، تقى قائلاً: أنت على عتبة أبواب الجنة بل على أبوابها أنت الآن بين الدنيا والجنة.

يدرک الحاذقون بأن الشخص الذى يقف عند باب الجنة ولو لحظة واحدة لايهوى أن يرجع إلى الدنيا ومن المستحيل أن يبدل هذه اللحظات إزاء الدنيا كلها.

كان الأذكياء ومن تلک اللحظات ينتظرون خبر استشهاد محمدتقى.

أمل الممرض

جلس الإمام الخامنئى، حفظه الله تعالى، حوالى أربعين دقيقة عند رأس تقى وقال أنه من أصحاب الجنة. على رغم هذا واسانا وقال: سأنتظر سماع الأخبار السارّة (كان يقصد استعادة وعيه).

عاش تقى أربع سنوات بعد ذلک اللقاء. مواساة السيد القائد زادتنا طاقة وعَزَّزَت فينا العزم على رعايته أكثر.

يومٌ سار

كان قد انقطع إحساسه بالعالم الخارجى ولكن كانت تختلف وضعيته معى ومع أمه. كلَما كنا نقف عند رأسه كأنه يستعيد الحياة ويفتح عيونه والمدهش أنه تصرفه مع السيد القائد كان نفس هذا التصرف.

وقفت أمه عند رأسه مرّة من المرّات وكانت عيونه مغلقة فكان استنشق رائحتها وفتح عيونه ورفع رأسه إلى الأعلى كثيراً ليشاهد أمه.

بكت أمه من الفرح. كان ذلك اليوم من أجمل أيام حياتنا.

دارشفاء لأصحاب القلوب الحزينة

كنت أرى بعض الليالى فى المنام قد نزل تقى من السرير مرتديّاً البدلة ومشغول بجمع فراشه وأقول له مسروراً متبهجاً: يا تقى! أخيراً تعافيت؟

وعندما كنتُ أستيقظ من النوم أجده لايزال راقداً على السرير.

كنت أتمنى أن أراه معافياً مشافياً وأرى زواجه وأحول البيت إلى حسينية وأقيم مراسيم عـزاء فـى كل سنة. ولكن كانت إرادة الله تَتعلَّق بِشىء آخر. كانت مصداق إرادة الله فى كلام الإمـام الخمينـى (رحمة الله عليه) الذى قال سيصبح مزار تقى دارشفاء لأصحاب القلوب الحزينة.

يزور الكثيرون مزاره ويتوسلون به ويقضى الله سبحانه وتعالى حاجاتهم.

درسٌ لمن يريد أن يتعلّم

من كان يراه دون أى أستثناء كان يقول: وجهه نورانى، حتى الإمام الخامنئى عنده زيارة تقى قـال: ياله من وجهٍ مضىءٍ.

كانت عيناه جميلتان واصبحت أكثر جمالاً وتلألؤاً يوماً بعد يوم فكانت تنفذ فى قلوب الجميع.

كان الناس يحبون تقى من صميم قلوبهم، لأن محبته كانت إلهية.

كان تقى راقداً على السرير فى زاوية من هذا العالم الواسع وهو عاجز عن الحركة والكلام ولكن الله سبحانه وتعإلى زاده سمعةً ومحبوبيةً يوماً بعد يوم.

لو كنا من أولى الأبصار لعرفنا بأن هذا القضاء الإلهى قد يمنحنا درساً كبيراً.

لا أحد يستطيع مساعدته

كانت حالته العامة جيداً، لكن يبدو وكأنه يريد أن تُفتح له أبواب الجنة. ظهـرت العلامـات. الأولـى ضيق التنفس. اضطررنا بعد خمسة عشر عاماً أن ننقله إلى المستشفى.

استعدّ الجميع لينقذوه ولكن لم يقدر أحد أن يساعَدَه.

وضعوا له جهاز التنفس ودخلوهُ فى قسم العناية المشدّدة.

وضعوه على سرير مموّج حتى لا يصاب بالجروح إثر النوم المستمر على السرير لكنّ حالته كانـت تسوء يوماً بعد يوم. أصيب بجروح إثر النوم المستمر على السرير فقـدت عينـاه حَيَويتهـا السـابقة وظهرت على جسمه جروح وأورام كثيرة إثر حقن الابر حتى لم يجدوا وريداً بعد لِلحقن.

كان ضغط الدم دائماً يرتفع و ينخَفض ويصبح وجهه شاحب اللون، كـان مـن المقـرر أن تفـتح لـه أبواب الجنّة. وكان يصرّ على العروج إلى الجنّة، فهل نستطيع أن نغيّر رأيه؟

علينا أن نتحمّل

أصبحت حاله فى الأيام الخمسة والثلاثين الأخيرة من حياته خطيرة، فضعفت معنوياتنا بسبب بُعدنا عن تقى نتيجة وضعه الخطير.

مرَّت هذه الأيام بصعوبة جدّاً. كنّا متحيرين كالمجانين.

فكنّا ندور حول غرفته من المساء حتّى الصباح.

ولا نستطيع النوم لا فى النهار ولا فى الليل وحتّى سيدة علوية محترمة من الأقرباء رأت فى المنام أن أيدى الشهداء مرفوعة إلى السماء داعين بأن يأتى تقى عندهم. كان الشهيد عرفى متقدماً منهم، استشهد الشهيد عرفى بعد سبعة عشر عاماً إثر اصاباته. كان يقول عرفى: دعوا تقى يأتى إلينا، الجميع ينتظرونه فاذهبوا إلى أمه وأبيه وأقسموا بالله لهم وقولوا لهم بأن جميع الشهداء يقولون لماذا تمنعونَهُ من المجيء إلينا؟

هذا المنام غيّر رأينا وذهبنا إلى المستشفى فرأينا تقى يتأذى كثيراً فيقف قلبه عن النبض ثم يستعيد الحياة بالهزّة الإلكترونية فرفعنا أيدينا أنا وأمّه داعين الله وسلَّمنا لرضى الله وسنتحمّل الآن مايحدث حتى يرتاح تقى.

على عتبة بيت رسول الله (ص)

جاءت امرأة مرتبكة تسأل عنّا. وقالت نذرت أن أقيم مجلس عزاء لمدة عشرة أيـام فـى حسـينية أبى الفضل العباس لأتوسل به وأطلب منه الشفاء لتقى.

جاء ابوالفضل العباس(سلام الله عليه) فى الليلة الخامسة فى منامى وقال: طلبـت مـن الله سـبحانه وتعالى ولكن لم يتقبل منّى وقال اذهب وأطلب من الرسول الأكرم (صلى الله عليـه و آلـه). عنـدما كانت هذه المرأة تنقل لنا منامها تذكرت بأن ميلاد النبى (صلى الله عليه وسلم) قريب.

فشعرت أنّ الأيام سوف تنقضى حتى يبقى تقى حياً إلى هذا اليوم.

الابتسامة الأخيرة

أقبل ميلاد رسول النور والرحمة محمد المصطفى (ص) فى وقت لم يُعد جهاز التنفس يساعد تقى.

فكان الأطباء والممرضون يحيطون بتقى ليشاهدوا تفتّح أبواب الجنَّة.

حان الموعد...

ضحك الجميع رغم أن وجوههم مغمورة بالدموع.

لأنها كانت ابتسامة تقى الأخيرة ونفسه الأخير فكان المنظر جديراً أن يرى.

وقت المغازلة

كانت هذه المرّة الثانية التى يحترق فؤادى على تقى فكانت المرّة الأولى حينما رأيته عاجزاً عن الحركة فى مستشفى الشهيد بقائى فى أهواز. والمرّة الثانية عند لقائى الأخير فى المغتسل. حرّكته من جنب إلى جنب فرأيت الجروح والتورم على جسمه كأنه مضروب بمائة سوط على ظهره. اعتنيت به خمسة عشر عاماً وكنت أحركه من جهة إلى جهة أخرى حتى لايتآكل جسمه من كثرة النوم.

فتغيّرت أحوالى من شدة البكاء، سقطت على الأرض. أحد المقاتلين قال لى كلمة وواسانى بلطف. كانت كلمته كماء بارد يصب على نيران قلبى.

قال: كتب الله على تقى أن يصل إلى هذه المرحلة ويستشهد وسألنى هل تعلم أن محبة الله سبحانه وتعالى ماذا تعنى؟ الإمام الحسين(عليه السلام) عشق ربّه فاستشهد فهل لايزال قلبک يحترق على تقى؟

لِمَ كان تقى من نصيبنا؟

أنا راضٍ بهذا الابتلاء الإلهى كثيراً وراضٍ عن الناس أيضاً.

أخجلنا الناس الذين كانوا يرفعون معنوياتنا.

فأتساءل أحياناً لماذا أصبح هذا الامتحان من نصيبى؟ فلم أجد نفسى مستحقاً لرعايته.

ولماذا ولد تقى فى بيتى؟ حيث لانستحق العناية به.

حينما أرجع إلى الماضى وأتأمل لا أجد أى ترفٍ فى حياتى حتى فى شبابى.

المرفقات و الصور

رسالة الطبيب الإيرانى التعبوى المقيم فى آلمانيا إلى صحيفة قدس

العنوان: الطبيب الإيرانى فى آلمانيا يعلن استعداده لمعالجة جريح أصفهان.

القسم السياسى فى صحيفة قدس: « يبقى المواطن الإيرانى إيرانياً فى أى نقطة من العالم » يقرأ الطبيب الإيرانى المقيم فى ألمانيا تقرير صحيفة «قدس» فى مدينة مانستر الآلمانية عن محمدتقى طاهرزاده الذى طال إغماؤه أربعة عشر عاماً.

كان ذلک فى ٢١ فبراير عام ٢٠٠٢م/١٣٨١ ش حينما كان يتصفح موقع صحيفة قدس على الإنترنت ذهب إلى صفحة «عشقستان».

يقرأ الطبيب الايرانى البعيد عن الوطن قصّة حياة محمدتقى التعبوى البطل الذى خلق ملحمة ببقائه أربعة عشر عاماً على السرير وحكاية حب ومحادثات والدىّ محمدتقى الذين كان هو فلذة كبدهما ورفيقاً لهما وكانوا كلهم رموزاً للتضحية والخلود.

يقرأ الدكتور على كرجىّ التقرير عدة مرّات يفكر ويحدّق فيه وتتساقط قطرات دموعه فى الغربة. هو طبيب أخصائى فى جامعة مانستر الآلمانية وكانت بحوثه فى مجال الدماغ والأعصاب فيتخذ قراراً كبيراً ويقول هذا أقل ما أستطيع أن أقدمه إلى ابن وطنى الجريح وعائلته المضحية.

غداً الجمعة لم تصدر الصحيفة وبعد غدّ عيدالأضحى. يوم الأحد ٢٥ فبراير يصادف يوم الخميس يصل البريد الاكترونى إلى الصحيفة وتاريخ البريد ٢١ فبراير.

الرسالة من مواطن هو الدكتور على كرجىّ، فيطلب فيها التحدث الى عائلة الجريح محمدتقى طاهرزاده من الصحيفة حتّى يوافقوا على إرسال وثائق الجريح الطبيّة بهدف دراستها.

يكتب الطبيب الإيرانى فى البريد الإلكترونى «عسى وبإرادة الله يوجد علاج» وفى نهاية الرسالة كتب الدكتور على كرجى: رجاء قولوا لأب الجريح أريد تقديم هذه الخدمة إلى رفيقى التعبوى بكل

رحب وسعة. فالطبيب الإيرانى فى أروبا يعرّف نفسه تعبويا وهو معاون القسم العصبى فى جامعة مانستر الآمانية، لعلَّه وجد أروع وألطف جملة يعبّر عن مشاعره هى «التعبوى بأى نقطة من العالم سيبقى تعبوياً» فعلينا أن نكرّم الدكتور على كرجى على صدقه وخلوصه وصفاء نيّته...

الآن يسعى زملاؤنا فى الصحيفة ليتصلوا بممثلية الصحيفة فى أصفهان حتى يبلغوا عائلة الجريح محمدتقى طاهرزاده برسالة الطبيب الإيرانى...

ينتظر جميع موظفو صحيفة قدس أن يصل خبر من أصفهان و الدكتور على كرجى فى مدينة مانستر الألمانية يأمل بأن الله يفرّج عن الجريح الأصفهانى الذى يعيش فى الصمت والسكون أربعة عشر عاماً و بإرادة الله يستعيد حياته إن شاءالله.

الصور

قالوا: محمدتقی، أی محمد المتقی.
قلت: یالهُ من اسمٍ جمیل ویستأهله من الآن.

ساعد تقی أباه الشاب منذ صغر عمره. کان علیّ الآن أرافقه وأساعده.

إنه کان شاباً غیوراً ومتعصباً
وقد ترک مدرسته عندما أحس بأن لایمکن العیش مع هذا المقدار من النفقة لکن الحیاة لیست النفقات فحسب!

کان محمود تیموری علی تیموری و حمید کاویانی رفاق تقی فی جبهات الحرب، حیث مضت بینهم أیام سعیده حتی استشهدوا واحداً تلو الآخر.واستشهاد رفاقه ازداده لهفةً وشوقاً بحیث لم یتمکن تقی من البقاء.

الشخص الأول الجالس فی الجهة الیمنی هو محمدتقی طاهرزادة. الشخص الثالث الواقف فی الجهة الیسری أب الشهید محمدتقی طاهرزادة.

کان کالعادة مستلقیاً علی السریر ومحدقّاً عینیه، سلّمت علیه ولکنه أجابنی کالعادة أمّا هذه المرّة لم یتوجّه إلیّ ولم یبتسم!

أنا وأمه كنّا نتحدث إليه وهو يتحدث إلينا. فنحن بألسنتنا وهو بنظراته. وكنا نفهم لغة بعضنا البعض.

محمدتقى!

هل تسمعنى يا ولدى؟ هل تسمعنى يا عزيزى؟

أنت على عتبة الجنة، أنتَ على أبواب الجنة،

أنت بين الدنيا الجنة!

طوبى لک.